ثقافة

تخصّص «العربي الجديد» صفحة «نصوص الحياة والحرب من غزّة» لشعراء وروائيين ومسرحيين وفنانين من قطاع غزة، كي يعبّروا عن تفاصيل الحياة اليومية تحت القصف الإسرائيلي. هي نصوص تقول الحياة والإنسان من قلب الموت

نصوص الحياة والحرب من غزّة

رغدة حمد ناقدة

ليلة الهدنة

يوم الاثنين 20/ 11/ 2024؛ قبيل الهدنة بأيام عديدة، لطشتني فيها الحياة بعصاها حتّى أدابتني وأصهرتني. كنتُ ما زلتُ صامدةً في شقّتنا في مدينة الشيخ زايد، برج 18، الأقرب إلى المستشفى الإندونيسي الرئيسي في محافظة شمال غزة، والذي كان يزخر بصراخ الجريحات والجرحى والنازحات والنازحين وآلامهم؛ وهذه الحالة ليست مرجعيتها بتر الأعضاء أو عمق الجروح فحسب، بل رؤية الدود الأبيض الصغير منتشراً بشراهة على الوجوه، وأماكن الجروح والحروق، وهذا ما كان يؤكّده الطاقم الطبي لجميع الجرحى، وكذلك رؤية الشهداء الذين اضطرت إدارة المستشفى إلى وضعهم في أكياس محكمة الغلق، وذلك بسبب انتشار الدود بصورة تقشعر لها الأبدان، بالإضافة طبعاً إلى الرائحة الكريهة غير المعتادة، والتي أدّت في بعض الأحيان إلى دفن الجثث قبل تعرّف ذويها عليها، حفاظاً على سلامة النازحين.

مساء يوم الاثنين، سمعتُ وأنا جالسة في شقتنا، أحداً ما يغني قائلاً «إيش جابك على هذي الدار شو جابك على حيفا». استغربتُ الأمر وقلتُ لعائلتي: اللهجة غريبة ليست متداولة في منطقتنا، قال لي زوجي: «أنت بيتهالك»، فجأة انتابني الفضول لأنظر من الشباك المكسور، فكانت الصاعقة. رجعت إلى الوراء وتعثرت بالكرسيّ من شدّة الخوف، وقلتُ: يهودُ يهود يمشون في الشارع كأنهم جراد، ويبدو أنهم لا يعلمون بوجودنا في مدينة الشيخ زايد، لأنها تقريباً فارغة إلا منا وجيراننا في الطابق العلوي؛ أبو محمد وأولاده الشباب الثلاثة - زوجته وبقية العائلة في رفح - ونحن غادرنا فور سماعنا باقتراب الدبابات المجنزرة، شقتنا إلى آيّة مدرسة قريبة منا، وهذا مردّه خوفي على زوجي من آثار النزوح، وتحديداً التلوث الببئي، بوصفه مريضاً تناول جرعات بيولوجية (علاج لمرضى السرطان) في أحد مستشفيات رام الله.

بدأ المسلسل الدرامي الواقعي حلقاته ولحظاته الأولى عندما عرف الجنود بوجودنا، حيث أطلقوا فوراً قنابل الصوت القوية التي خرمت آذاننا على الشبابيك الشمالية للبرج، وبدأ الخوف يتسرّب إلى قلوبنا جميعاً في البرج.

قبيل فجر الأربعاء 22/ 11، كان البرد قارساً وكنّا جالسين جميعاً ملتصقين بعضنا ببعض عند مدخل باب الشقة المفتوح المهلوع المخلوع من شدة القصف، وقد دخل علينا كلبٌ أعرج خائف يلهث من شدّة الخوف والعطش، ومعه ثلاث قطط أدخلناهم بيننا، حينها عرفتُ قانون الغابة والحرب من أجل البقاء، وتذكرتُ أفلام الطبيعة وتجسيداتها على مستوانا البشري.

وقد اشتدّ القصف بصورة جعلتنا نتسمر وننطق الشهادة بصوت واحد. أما الحيوانات فمنعها الخوف من إصدار أي صوت، قنابل حارقة على شباك المطبخ، وقنابل صوت على شبابيك الصالون والبلكونة، وأصبحنا نردّد في صوت خافتٍ «يا نار كوني برداً وسلاماً»، وغيرها من عبارات التوسّل والمناجاة والرجاء من ربّ العالمين. كانت ساعات ثقالاً بلغت قلوبنا الحناجر، هرب الريق من أفواهنا، ورأينا الموت يدنو ويدنو ببطء شديد، وهكذا حتى ساعات الظهيرة والدبابات المجنّزرات واقفة عند شباك المطبخ - الجهة الجنوبية للشقة على الشارع العام - تطلق من هذا المكان القذائف على وسط مخيم جباليا ومنطقة تل الزعتر ومشروع بيت لاهيا، وهذه الحال استمرّت حتى صلاة العصر.

قبيل المغرب حاولتُ ربط شاشةٍ بيضاء على عصا لتعليقها على الشباك، لكن القنّاص مزّقها بالرصاص، وفهمنا أنها رسالة - غير مباشرة - أن الموت يقترب جداً؛ ومضى الليل حيث تنتشر رائحة القتل والدمار، وقد زادت وطأة القصف، وضُرب مُجمع المدارس الذي أمامنا بعدّة قذائف ممّا أودى بالنازحين بتوقيع فهمه الطفلُ قبل الشيخ الكبير.

منتصف الليل سمعنا حركة مكثفة قريبة للدبابات والمجنزرات، وشممنا رائحة حرق قوية، عرفنا مصدرها البرج الملاصق لمنزلنا، وسمعنا انفجاراً كبيراً جداً عمل على رفعنا وضربنا بالحائط، عرفنا بعدها أنه تمّ قصف وتدمير برج رقم 2 المكوّن من خمسين شقة في أبراج الإسكان الملاصقة لمدينة الشيخ زايد من الجهة الجنوبية الشرقية، القريبة جداً من المستشفى الإندونيسي، حيث كان الهدف الرئيسي هو اقتحام المستشفى.

انعدمت الرؤية تماماً ولم نعد نرى شيئاً، حاولنا الهرب من هذا الحصار لكن من دون جدوى، إذ تمّ إطلاق النار علينا عند بوابة برجنا، وسمعنا طائرة الهيلوكابتر تقترب وتطلق الرصاص بعنف وقوّة تجاه برجنا ومنطقتنا، وازداد الخوف كثيراً ونمنا على بطوننا على الأرض؛ الصقيع تحتنا والقصف فوقنا، والقنابل الحارقة على الجهة الجنوبية وقنابل الصوت على الجهة الشمالية للشقة؛ واهتزازات الأرض ترفعنا وترتفعنا بالأرض مجدداً، والحيوانات بيننا نسمع صوت هلعها الذي تدلّ عليه أنفاسها.

يوم الخميس كان هادئاً وزاخراً ببراءة الخوف والصراخ من نازحي المستشفى الإندونيسي، وذهب الريق في مهب الريح. القلوب قد وقف نبضها ووصلت دقاتها إلى الحناجر، الرصاص اخترق الحيطان التي تؤوينا لكننا نجونا بحمد الله. وللأسف الشديد، استشهد ابن جيراننا المحاصر معنا، والساكن في الطابق الذي يلينا، وسمعنا صراخه لكنّ من دون جدوى؛ كانت النهاية.

ليلة الجمعة، كانت السخونة النفسية تنهش في أرواحنا، صوت قصف الجو الشديد وقذائف الأرض الملاحقة خرقت وخرمت طبقة تحملنا، الدموع بخلت علينا حتى بالتنقيط، كلّ ما حولنا يتفجر ويحترق، لا نعرف أين مصدره ومتى دورنا، نظرنا بعضنا إلى بعض تكلمنا بلغة العيون وسامحنا وودع بعضنا بعضاً. أدركنا كما أدرك من رأى وعرف بحصارنا أننا لن نخرج إلا على النعوش، واشتد الوطيس بكل المقاييس، واستسلمنا للقدر؛ وجوهٌ صفراء وأجسام مرتجفة وأرواح خائرة وشفاه مزرقّة وعيون شاخصة إلى أن رأينا من ينتشلنا برفق من على الأرض، ويسقينا الماء والسكر، ويصرخ متعجباً: أأنتم أحياء بعد كل هذا؟ فعرفنا أنه صباح الجمعة هدنة اليوم الأول 24/ 11/ 2024.

أبراج الشيخ زايد شمال مخيم جباليا

عمل للفنّان الفلسطيني منذر جوابرة

حاولتُ ربط شاشة بيضاء على عصاً وتعليقها على الشباك، لكن القنّاص مزّقها بالرصاص

فاتنة الغرة شاعرة

رسائل لمار

الرسالة الخامسة: الفردوس ليس على الناصية الأخرى

نزحنا يا لمار من مستشفى القدس، لكن يومياتك هناك ما زالت عالقة بين الجدران، وفي ممرّات الطوابق، لذا سأستمر بكتابتها إليك تحت وقع الأصوات والصور، التي اختزنتها ذاكرتي مثلما اختزن بعضاً منها جهاز موبايلي. كان بحوزتي رواية ماريو بارغاس يوسا، «الفردوس على الناصية الأخرى»، وجدتها ضمن مكتبتي التي تركتها خلفي في غزة قبل خمسة عشر عاماً، وحافظتُ عليها جدتك التي لا تقرأ حرفاً حتى رجوعي. وضعتها في حقيبتي ظناً مني أن الوقت سيتاح لي لقراءتها من جديد، أخذتها ضمن ما حملت حينما تركنا البيت تحت وقع الصواريخ، هل قلت لك إن جدتك، وهي تتكئ على يدي ويد عمك محمود، وقفت للحظة لتصرخ فينا كي نتركها هناك؟ تخيلي! نتركها تحت القصف لشعورها بأن ثقل وزنها، وصعوبة مشيها، ستعرقلنا وتحول بيننا وبين الالتحاق بباقي العائلة، وبالتالي احتمالية إصابتنا إن لم يكن موتنا. كم كان بودّي أن تكون بخفّة ذلك الرجل العجوز الذي رأيت ابنه يحمله على كتفه ويركض به، كان خفيفاً كطفل في عامه الرابع على الأكثر. ضغطتُ بيدي على يدها وقلت لها «امشي يما». سنصل، امرأة تحمل ثقل عليناً بما، من شباك عمارتها نادت على أمي ثلقية بشبشب من النافذة: «خدي يا حجة البسي رجلك»، لحظتها فقط انتبهت إلى أن أمّي قد خرجت حافية من البيت، امرأة في الثمانين خرجت تنزح من بيتها دون تحوط وقع القصف، ربما مثلما فعلتْ عندما كانت تبلغ من العمر أربع سنوات ونيفاً، حافية ترتكض مع أهلها وقتَ النكبة.

كنا نركض مثل لاعبي الرَّغبي لكن دون أن نعرف أي اتجاه نلتجئ، كلّ شيء كان تحت مرمى القصف والصواريخ والنار التي لا تفرق بين طفل يحرّك على انزلاق أبيه ووقوعه على الدرج، وبين أمٍ تجلس أمام فرن الطين تمدّ يداً تحمل رغيف خبز، حرقته القذيفة المباغتة. شيخٌ على الرصيف المقابل كان يجرّ بيد ابنه الصغير وبالأخرى عجلة تحمل ثلاثة أرباع كيس دقيق، ربما خرجت منه حصّة واحدة، راكضاً دون أن ينظر خلفه. هنا تتعلم ألا تنظر خلفنا مهما كانت الأسباب مثلما أخبرتني صديقتي وسام ياسين التي تعمل مراسلة لـ«قناة الحرة»، عن امرأة روت لها قصة استشهاد ابنتها وحفيدتها، كانتا وراءهما يعبران طريق الموت من غزة إلى الجنوب، وهي قصة سأرويها لك ربما في رسائل قادمة، تقول: رأيت النقطة الحمراء للقنّاص تتخطاني لتتخلل منها رصاصتان، وسمعت صوت ابنتي وطفلتها خلفي، مشيتا دون أن نجرؤ حتى على الالتفات وراءنا، هكذا أخبرونا في الحواديت، امشِ ولكن لا تنظر خلفك وهكذا فعلوا.

عبرنا شارع 8 الذي نقطن فيه في حي تل الهوا باتجاه مستشفى القدس حينما نزحنا من البيت، قرّر جزء منا الذهاب إلى المدارس، غير أن الجزء الآخر استجاب لصراخ زوجة وابن وهي تقول مستشفى القدس الاقتراح كان يبدو أقرب للمنطق، فالمستشفى لا يبعد أكثر من عشر دقائق مشياً عن البيت، ومن السهل علينا حينما يتوقّف القصف أن نعود إلى بيتنا دون جهد يذكر، كنا سُذّجاً يا حبيبتي، غرّنا أن تل الهوا وعلى مدار الحروب الفائتة بقي سليماً من الدمار. ركضنا حتى مرّت سيارة أمامنا صرخنا على سائقها: «خد هالمرّة العجوز معك». وقف الرجل وصعدت أمي معه برفقة عمّك فهد، وبقيتُ أنا أحثّ السير إلى المستشفى ممسكة بيد ابنة عمك ميرا، البالغة من العمر عشر سنوات، وأخيها يامن البالغ من العمر خمس سنوات. مشهد ميرا وهي تضحك بشكل أقرب للهستيري وتقول ليامن: «ما تخافش يا حبيبي احنا مش رح نموت»، ثم تنظر إلى قائلة بالابتسامة نفسها: «صح يا عمّتو، احنا مش رح نموت»، وأنا أحاول طمأنتها وسط لهاثي. يامن كان يعضّ بيده على يدي حتى وصلنا منتزه برشلونة الذي يجاور العمارة التي اشتريتم فيها شقتكم، قلتُ لهما: «امشيا بجوار الأشجار لا بجوار البنايات»، قلتها وصوتي يهتزّ مع كلّ قصف آت من الخلف، وحين ردّ عليّ يامن: «صحيح يا عمتو عشان الأشجار ما بتوقع»، لم يتوقع يامن أن كلمته هذه ستنزل على قلبي طمأنينة وسلاماً، وأنها بحروفها القليلة ستصلّب عودي مجدداً، التقطتُ الكلمة من فمه وظللتُ أردّدها طوال الطريق حتى وصلنا إلى باب المستشفى: «الأشجار ما بتوقع، الأشجار ما بتوقع»، نسيت أن أخبرك، لم يعد وجود لشقتكم يا حبيبتي، صارت رماداً مثلما هو حال باقي أغلب العمارات من حولها، لكن الأشجار هناك لم تقع، ذهب يامن وميرا مع أهلهما إلى مدرسة تابعة لـ«وكالة غوث وتشغيل اللاجئين» في حي الرمال، وبقيت أنا.

الرسالة السادسة: حينما تسلل خيط الريف من طرف فمي

هل تعرفين يا لمار أكثر ما يميّز الوجود في غزة؟ هو أنك لا تسمعين بالكاد إلا اللهجة العَرَبية، تحيطك من كل جانب، إلى الجنوب، وهي قصة سأرويها لك ربما في رسائل قادمة، تقول: رأيت النقطة الحمراء للقنّاص تتخطاني لتتخلل منها رصاصتان، وسمعت صوت ابنتي وطفلتها خلفي، مشيتا دون أن نجرؤ حتى على الالتفات وراءنا، هكذا أخبرونا في الحواديت، امشِ ولكن لا تنظر خلفك وهكذا فعلوا.

عبرنا شارع 8 الذي نقطن فيه في حي تل الهوا باتجاه مستشفى القدس حينما نزحنا من البيت، قرّر جزء منا الذهاب إلى المدارس، غير أن الجزء الآخر استجاب لصراخ زوجة وابن وهي تقول مستشفى القدس، الاقتراح كان يبدو أقرب للمنطق، فالمستشفى لا يبعد أكثر من عشر دقائق مشياً عن البيت، ومن السهل علينا حينما يتوقّف القصف أن نعود إلى بيتنا دون جهد يذكر، كنا سُذّجاً يا حبيبتي، غرّنا أن تل الهوا وعلى مدار الحروب الفائتة بقي سليماً من الدمار. ركضنا حتى مرّت سيارة أمامنا صرخنا على سائقها: «خد هالمرّة العجوز معك». وقف الرجل وصعدت أمي معه برفقة عمّك فهد، وبقيتُ أنا أحثّ السير إلى المستشفى ممسكة بيد ابنة عمك ميرا، البالغة من العمر عشر سنوات، وأخيها يامن البالغ من العمر خمس سنوات. مشهد ميرا وهي تضحك بشكل أقرب للهستيري وتقول ليامن: «ما تخافش يا حبيبي احنا مش رح نموت»، ثم تنظر إلى قائلة بالابتسامة نفسها: «صح يا عمّتو، احنا مش رح نموت»، وأنا أحاول طمأنتها وسط لهاثي. يامن كان يعضّ بيده على يدي حتى وصلنا منتزه برشلونة الذي يجاور العمارة التي اشتريتم فيها شقتكم، قلتُ لهما: «امشيا بجوار الأشجار لا بجوار البنايات»، قلتها وصوتي يهتزّ مع كلّ قصف آت من الخلف، وحين ردّ عليّ يامن: «صحيح يا عمتو عشان الأشجار ما بتوقع»، لم يتوقع يامن أن كلمته هذه ستنزل على قلبي طمأنينة وسلاماً، وأنها بحروفها القليلة ستصلّب عودي مجدداً، التقطتُ الكلمة من فمه وظللتُ أردّدها طوال الطريق حتى وصلنا إلى باب المستشفى: «الأشجار ما بتوقع، الأشجار ما بتوقع»، نسيت أن أخبرك، لم يعد وجود لشقتكم يا حبيبتي، صارت رماداً مثلما هو حال باقي أغلب العمارات

حينما يغطي الرماد وآثار القصف الوجوه، تتشابه الملامح إلى حدّ مرعب خاصة ملامح الأطفال

أسمع الشباب ينادونني «خالتو أو عمتو»، في البداية كنت أنظر شزراً لمن يخاطبني بهذه الألقاب، خاصة أن منهم شباباً قد أكبرهم بعقد من الزمن لا أكثر يخاطبونني احتراماً بهذه الألقاب، لذا كنت أتغاضى قليلاً وأستفزّ كثيراً، لكن الردّ الحاد كان على من يخاطبني يا حاجة: هل هززتُ لك في سريرك؟ أم هلّ ترانيٍ أمشي على عكازين؟ الحرب يا حبيبتي أفقدتني رؤية غزّة كما أتمنى لكني لن أسمح لها أن تضيف إلى عمري أعواماً لا تخصني.

كنا نظن حالنا سيئاً برئي له بسبب كثرة الأطفال والعائلات في الطابق. لكنني كلما نزلت طابقاً، اكتشفتُ كم نحن محظوظون بهذه الإقامة، الكارثة الأكبر تكمن في الطابق الأول، ليس فقط بسبب تكدّس العائلات فوق بعضها إلى درجة أن «بيت الدرج» -كما نطلق عليه هنا- وهي المنطقة الضيقة تحت مصطبة الدرج، صارت مأوى لعائلة تربو على عشرة أفراد، الأقسى هنا أن نزلاء هذا الطابق من النازحين هم من يتلقون الإصابات الواردة للمستشفى من اشتباكات بالخارج أو الناجين من قصف وهذا هو الرعب الحقيقي. حينما يغطي الرماد وآثار القصف الوجوه، تتشابه الملامح إلى حدّ مرعب خاصة ملامح الأطفال، كم مرة صاح أحدهم هنا حفيدي، لا به الضحكة نفسها، هذا ابن اخي عرفته من قميصه الذي كان لي. هذه عيون ابنتي وتلك أظفارها، بعد قليل من التفحّص وتقليب الشعر والأظفار واليدين والإلبسة كنت تسمع تنهيدة ارتياح يعقبها في كثير من الحالات بكاء صامت أو نحيب.

أما عن سكان الطابق السادس. وهو طابق ما زال في طور البناء- من أنجب منهم، فقد كسبَ ذرية كما نقول هنا، الحياة. هناك رعب مجسد، السماء فوقك لكنها سماء غير السماء، سماء سكان الطابق السادس لا تضيئها النجوم ولا يزينها القمر، بل تنيرها القنابل الفوسفورية والحرارية، التي يجري إطلاقها كإنارة قادمة من الجحيم. هم لا يسمعون أصوات القصف فقط، لكنهم يرونه ويشمونه كل لحظة في الليل أو النهار، ولا شيء يحميهم من الانزلاق من طرف السطح غير عمدان من الحديد تقي الساكنين، وغالبيتهم أطفال ونساء، خطر السقوط، ينامون على قليل من الفراش، حبث لا يوجد بذخ هنا ولا رفاهية قد يمتلكها المقيمون في الطوابق السفلية. لم أفهم للحظة كيف يمكنهم ممارسة الحياة هناك في الطل»، حيث تصحو عيونهم على الدمار، على العمارات المقصوفة، والبيوت المهدمة، والشوارع المحفورة بفعل القذائف، التي تتساقط كالذباب على غزة. يبدو أن غزة هي قطعة حلوى كبيرة، وإلا لماذا يسقط فوقها كل هذا الذباب؟ يحب الأطفال الحلوى كثيراً. تعلمين هذا يا حبيبتي فأنت منهم، والأطفال هنا ترضيهم أي قطعة حلوى حتى لو انتهت مدة صلاحيتها كحال كثير من المساعدات التي وردتنا في المستشفى، لكن الحلوى على ندرتها وقلّة جودتها بدأت بالتناقص تدريجياً من أيدي الباعة أمام المستشفى حتى أصبحت عملة نادرة، يلزم الأطفال الكثير من الطاعة كي يكسبوها كمكافأة، لا ضير في ذلك فقد استعاض الناس بساندويتشات المربى والحلاوة الطحينية كنوع من الحلى، يحضر حينما يحضر الخبز، لكنه لا يغيب عند غيابه.

كنا نحو خمسة عشر ألف نسمة في مباني المستشفى المتلاصقة، نزيد وننقص حسب القصف في الخارج والتهديدات المستمرة بقصف المستشفى على رؤوسنا، كنا قرية صغيرة موزعة على طوابق وأبنية، غرباء كنا وأقرباء وأحبة صرنا، لتمضية الوقت كان الجميع هنا يتعرّف إلى من يتوسم فيهم صفات مشتركة له، ولطريقته في الحياة، لكن الأمر لا يمنع أن تصاحب أشخاصاً لم تكن تظن أن هناك مكاناً يمكن أن يجمعكم. الحال في المستشفى وضعنا على خط امتدّ على استقامته طويلاً، نقف عليه باتجاه عقارب الساعة، وكلنا نلف معها، جيراننا لحسن الحظ كانوا ممن يسكنون حيّنا «تل الهوا»، لكن المعرفة كانت في الأوضاع الطبيعية تقتصر على معرفة الرجال بالرجال والنساء بالنساء -إن كان هناك تبادل زيارات- بالنساء.

لكنه ليس من الشائع في مدينة محافظة كغزّة، تتكتم على عريها الداخلي بملابس فضفاضة، أن يجلس الشباب جنباً إلى جنب جوار البنات، فما بالك بالحديث معهم والنوم متجاورين، لا يفصل بينهم وبين الشباب لا ساتر ولا ستارة.

لا أعرف الكثير عن كل واحد منهم، لكن المعايشة، على مدار شهر إلا بضعة أيام، تعلّمك الكثير عن البشر، خاصة وأنت تراهم كما في البيت دون رتوش أو أقنعة خارجية لحفظ ماء الضعف أو الانكسار، أو الشر في بعض الأحيان. بالمناسبة هل أخبرتك من قبل يا لمار بأن الأيام هنا لا تجري مثلما تجري في الخارج، وأن الوقت هنا مطاطي، يمتدّ ويتقلص حسب أحداث النهار، فلنقُلْ سابقاً أننا قضينا في المستشفى ثلاثة وعشرين يوماً لكنها كانت تزيد على ذلك، دخلنا المستشفى في الثالث عشر من أكتوبر/ تشرين الأول، وخرجنا في الثاني عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني، يومها حمل عمك محمود ابنه أحمد البكر الوحيد على أكتافه، وذهب ليدفنه تحت القصف. أحمد الذي كان قد أتمّ للتو عامه الحادي والعشرين كان قد اشتهى كوباً من القهوة، لكنه عاد وظرف القهوة في جيبه ورصاصة اخترقت رأسه، هل قلت لك كيف سال خيط من الريق من طرف فمه؟

سينما

شريطٌ ترويجي لـ«مهرجان كارلوفي فاري»

دِلْ تورو يسخر بمرارةٍ مُضحكة

شريط يروّج لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي»، يتمتّع بسخرية كوميدية مُحبّبة، وبينيثيو دل تورو يزداد بهاء في تمثيل دور في إنتاج جديد

كارلوفي فاري ـ **نديم جرجوره**

جانبٌ من كلّ مهرجان يُغري، أحياناً، بكتابة نقدية عنه، لكونه مُرافقاً أيام دورته السنوية. أفلام مختارة (سؤال آلية اختيارها مُكرّر، مهرجان منطقٌ خاص به، يلتزم هدفاً ومبدأ ونمط تفكير فني وجمالي وثقافي وسياسي غالباً، وجغرافي أحياناً) تُغري مواضيعها، أو أسماء صانعين لها، لمُشاهدتها، التي (المُشاهدة) تُعين وحدها على كتابة نقدية. أمّا الجانب المذكور، فتفاصيل ينتبه إليها مهتمّون ومهتمّات، ويتغاضى عنها (هناك عدم انتباه إليها أيضاً) آخرون وأخريات، مع أنها تُشكّل جزءاً من البناء العام للمهرجان.

الدورة 58 (28 يونيو/ حزيران ـ 6 يوليو/ تموز 2024) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي» تحثّ على تنبّه إلى مسائل، بعضها معروف سابقاً، وبعض آخر ينضوي في إطار متغيّرات شكلية. أحد أبرز تلك المتغيرات غياب العرض اليومي في العروض الصحافية كلّها (على الأقلّ لأشرطة يُفترض بمدّة كلّ واحد منها ألاّ تتجاوز 90 دقيقة)، تُصوّر عاملين وعاملات في السينما التشيكية والغربيّة، يفوزون في دورات سابقة بجوائز أساسية. الأشرطة (إنتاج مشترك بين إدارة المهرجان ووزارة الثقافة التشيكية) ترتكز أساساً على سخرية بديعةٍ من تلك الجوائز، بأساليب مختلفة، تُثير ضحكاً، وتكشف جمالاً سينمائياً في تكثيف درامي لنكتةٍ ساخرة، لعلّ هدف الإدارة والوزارة يتناقض كلّياً معها. فالفائز الفائزة ببدوان غالباً غير مُهتمّين بتمثال الكريستال، رمز المدينة، أو أنهما يُضطرّان إلى التضحية به للنفاذ من موقف حالة طارئ.

في الدورة الـ58، يُلغى عرض أشرطة كهذه في العروض الصحافية. لكنّ إدارة المهرجان تُرسل رابطاً (إضافة إلى صُور ومعلومات صحافية) عن شريطٍ جديد، يُخرجه التشيكي إيفان زَخَرياش، مع الممثل الأميركي الإسباني بينيثيو دل تورو، الفائز بـ«جائزة رئيس المهرجان. 2022». البنية الأساسية ثابتة: أولاً، على الشخصية المختارة أن تروي حكايتها مع الجائزة والمدينة والمهرجان، بتكثيفٍ درامي وسردي، إمّا بصوتها، والسرد يقول انفعالاً وتفكيراً وارتباطاً بتلك الثلاثية (الجائزة والمدينة والمهرجان)، التي يُضاف إليها تمثال الكريستال طبعاً، رمز الجائزة الخاصة بمهرجان تلك المدينة؛ وإمّا بمسار حكائيّ للحاصل معها. ثانياً، اختيار الأسود والأبيض غالباً في سرد الحكاية، أو الألوان، وهذا بحسب ما يُرى في الشخصية السينمائية وبيئتها الجغرافية والاجتماعية، والتركيبة النفسية والعقلية والروحية التي تصنعها.

مع دِل تورو، يُصبح البوح الذاتي أساسياً، وملامح وجهه وحركة جسده وعمق نظرته كفيلةٌ كلّها بتقديم المخبّأ في ذاته، إزاء الحاصل معه لحظة منحه الجائزة. يمشي دِل تورو حاملاً حقيبة، صامتاً ظاهرياً لكن مختلفاً، فيفتح الحقيبة ويظهر التمثال، فيوحي دِل تورو باستعدادٍ للتحرّر منه، منهياً المشهد (تصوير يان فلتْسكي) بـ«طفح الكيل». هذا لاحقٌ لإعلان قاس: «أنْ أفعل ما عليّ فعله، وأخرج من هنا».

في 90 ثانية، يختزل بينيثيو دِل تورو جوهر اشتغاله التمثيلي، بما يملكه من معطياتٍ حسّية، تتمثّل بجسدٍ ووجه وملامح ونبرة ونظرة وطريقة سير على القدمين. يوحي، في هذا الشريط، أنّه يائسٌ وغير مرتاح، وأنّه راغبٌ في خلاص من هذا الاستعراض، الذي يقول عنه مواربةً بأنه مملّ. يبرز عفوية ومصداقية وإقناعاً، مع أنّه يؤدّي هذا الدور تحديداً ببراعة وجمال، لإتقانه الحرفي والمهنيّ في تمثيلاً غير محتاج إلى تمرين. فالتراكم الفني والثقافي والجمالي كافٍ لإنتاج عفويةٍ صادقة، مع أنّ الشريط محتاج إلى تمثيل، وهذا يبرع فيه دِل تورو. رغم أنّ التعريف الرسمي بهذا الشريط (كاشرطة سابقة للممثلين الأميركيين داني ديفيتو وهارفي كايتل وجون مالكوفيتش وجوني ديب، والبريطاني جود لو، والتشيكيين جوزيف سومر وبيرينا بوهدالوفا، إلى المخرجين التشيكوسلوفاكي الأميركي ميلوش فورمان والتشيكوسلوفاكية فيرا خيتيلوفا) يتمثّل بأنه «ترويج للمهرجان»، يشي كلّ عمل بأنّ في المخبّأ نكتةً يُراد لها سخرية كوميدية سوداء، لا أنّ انتقاداً بتهكّم مرير وقاس.

ملامح كافية لقول صامت ونبرة خفية تشي باعمق ذات وروح

ما يعتمل فيه ينكشف بنبرة الراوي، أي هو. يتساءل مواربة عن النافع في كلّ ما يحصل معه، إذْ يبدأ بوحه بالتالي: «يوم آخر، مدينة أخرى، ابتعاد آخر. دائماً الروتين نفسه. عليك أنْ تفعل هذا». كأنه يسخر من الاحتفال الاستعراضي والأضواء والجوائز في المهرجانات كلّها، قبل أنْ يُقرّر دوراً

بينيثيو دِل تورو في شريط كارلوفي فاري: حرفية اداء باهر (الملف الصحافي)

محاولات تجريبية بعضها غير مكتمل وبعضها يشي بجمالية

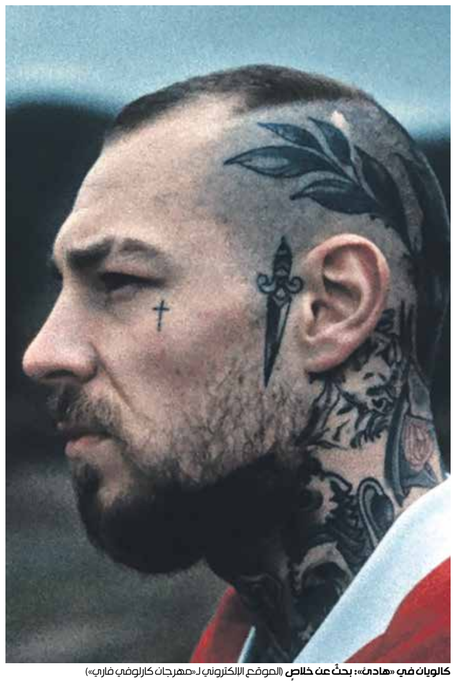

كالويان في «هادئ»: بحثٌ عن خلاص (الموقع الالكتروني لـ«مهرجان كارلوفي فاري»)

ملاحظات على تجريب «بروكسيما»

العفوية حاضرةٌ لكنّ الثرثرة غالبةٌ

تنساق مسابقة «بروكسيما»، في «مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي»، إلى نمطٍ بصري يمزج توثيقاً مخفّفاً بسرد روائيّ تمثيلي، والتمثيل يكاد يختفي إزاء واقعية حدثٍ وأفراد، وعفوية قول وتصرّف. ثلاثة أفلام تعكس شيئاً من هذا، بتفاوت بين إسرافٍ سينمائي في اعتماده، وتوغّل أكبر في تجريب، يتناقض أحياناً مع جوهر الحكاية المنوي سردها.

لكنّ هذا غير ظاهر تماماً، في Lapilli، للسلوفاكية باولا دوربنوفا، مثلاً، يجهد في أنْ يترأف التجريب مع البوح الذاتي إزاء ارتباط بطبيعةٍ تنهار، وانهيارها خرابٌ فردي وعام، من دون توازن درامي جمالي سرديّ بين الصُّور والنصّ. قسوة معاناة دوربنوفا مروية بثرثرة، وإنْ يُراد للرواية أنْ تكون نصاً شعرياً (النبرة توحي بذلك، غالباً) عن الم وتحوّلات وبؤس. التجريب البصري غير مستجيب لمعنى أنّ تكون الصورة حكاية مروية من دون كلام، فكثرة الكلام ثرثرة مسيئة لاختبار تجريب، ربما بسبب شرطه السينمائي إنْ يُحذف الكلام، أو يُخفّف على الأقلّ. مشاهدة «معماريّ (Architecton)»، للروسي فكتور كوشاكوفسكي، مثلاً، تقول إنّ الصُّور وحدها كافية، لقدرةٍ سينمائية على جعل الطبيعة، بتناقضاتها وتفاصيلها وأحوالها، تروي حكاية الخراب الحاصل في العالم. الكلام القليل عن المخرج نفسه وميكالي دي لوكي، المُصمّم والمهندس المعماري الإيطالي (المهموم بعمارة وآثار، وبانقلابات الطبيعة والبشر على جمال مهرجانا برلين و«كانّ»، في دورات قليلة ماضية (تحديداً منذ إعادة تنظيم تلك الدورات في مواعيدها الأصلية، غداة انحسار كورونا، المتفشّي منذ نهاية 2019)، يُخفّفان كثيراً من تكاليف جانبية، تتعلّق بمسائل لوجستية: إلغاء الأساسية، وأحياناً بعثر الضيف والضيفة فيها على إعلانات ودعوات إلى حفلات متنوّعة، تُقيمها جهات إنتاج وتوزيع، أو شبكات تلفزيونية، أو مؤسّسات سينمائية. «مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي» مُثابر على منح كلّ مدعوّ ومدعوّة وذاك الخاص بال«برلينالة» يُعتبر مُجلّداً لا «كاتالوغ» فقط، لضخامته ووفرة صفحاته، ولذاك الكمّ الكبير من المعلومات المنشورة فيه باللغتين الألمانية والإنكليزية. إلغاء الحفلية، التي يتفنّن كلّ مهرجان في تصميمها وتنفيذ التصميم المختلف بين دورة وأخرى، والتي تضمّ المطبوعات الأساسية، وأحياناً بعثر الضيف والضيفة فيها على إعلانات ودعوات إلى حفلات متنوّعة، تُقيمها جهات إنتاج وتوزيع، أو شبكات تلفزيونية، أو مؤسّسات سينمائية. «مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي» مُثابر على منح كلّ مدعوّ ومدعوّة «حقيبة المهرجان»، التي يملؤها، كعادته السنوية، بمطبوعات خاصة بالعروض ومواعيدها ومعلومات عن أفلامها (كاتالوغ صغير الحجم، لكنّه كاف)، ومجلات سينمائية رغم أنّها صادرة باللغة التشيكية، إلى دعوات قليلة وإعلانات متفرّقة. إضافة إلى حلويات متنوّعة، وزجاجات مياه معدنية وبيرة ومشروب قويّ، إلى جوارب مُلوّنة، وتصميمها جميلٌ كالوانها الفاتحة. في كلّ دورة، تُضاف هدايا، وتُلغى أخرى مُقدّمة في دورة سابقة. هذا تقليدٌ تلتزمه إدارة «كارلوفي فاري»، رغم التغييرات الحاصلة في العالم. هذا مُسلّ، فالأهمّ يبقى دائماً، كالكاتالوغ بمعلوماته المطلوبة عن الأفلام والبرامج المسابقات المعروضة فيها، ومواعيد عروضها، إلى برنامج العروض الصحافية اليومية وأمكنتها. هذا كلّه مُفيدٌ، فالكاتالوغ والبرنامج مشغولان بسلاسة ووضوح، ومَن يُدعى إلى المهرجان للمرة الأولى، مثلاً، يكتشف سريعاً أنّ فيهما بساطة تُسهّل تحقيق المنشود. في مرحلةٍ مرتبكة يمرّ بها العالم، والأزمة الاقتصادية تفرض تخفيض التكاليف، يلتزم «مهرجان كارلوفي فاري» عاداتٍ سابقة، تُشكّل جانباً أساسياً منه. هذا ليس تفصيلاً عابراً.

نديم...

التزامٌ ثابتٌ بتفاصيل مهنيّة رغم أزمة اقتصادية

أفلام جديدة

■ Suncoast للورا تشين (Getty)، تمثيل نيكو باركر ولورا لايني ووودي هارلسن: مُراهِقة تُقيم مع والدتها، ذات الشخصية القوية، تكلّف بمرافقة شقيقها إلى مؤسّسة خاصة. في غضون ذلك، ترتبط بعلاقة صداقة غير مُحتملة مع ناشط غريب الأطوار، في مُظاهرات صاخبة تتعلّق بحالةٍ طبية تاريخية.

■ Monster لراكو بريانتو، تمثيل مارشا تيموتي (فيسبوك) والكس إيَاد وانانتيا كيرانا: فجأة، وفي بيئة هادئة ومُريحة ومُسالمة، يخطف وحش مُرعبٌ طفلين صغيرين يُدعيان الآن وراين، ويتنقلهما إلى منزل غريب، في وسط لا مكان. لا أحد يعرف السبب، أو من أين جاء هذا الوحش. لكنّ هناك سباق ضد الوقت الذي بدأ، إذْ يجب على أهل تلك البيئة أنْ يفعلوا كلّ شيء لإنقاذ الطفلين، ولإنقاذ أنفسهم من ذاك الوحش.

رحيل

كما في روايته «قصر الأحلام» التي نشرت عام 1980 وأعمال أُخرى، سيستلهم كادارية تاريخ ألبانيا خلال الحكم العثماني - الممقوت في التاريخ الرسمي - ويسقطه بطريقة ذكية على الواقع، ما جعل أعماله تحتمل القبول خلال الحكم الشمولي وإعادة التفسير بعد سقوطه عام 1990

إسماعيل كاداريه

العالمية وأثمانها في بلد اسمه ألبانيا

«مرشح نوبل المزمن» غادر بدونها

محمد م. الأرناؤوط

في صباح أتموز/يوليو الجاري وصل إسماعيل كاداريه (1936- 2024) إلى مسقط رأسه في تيرانا متأخراً إثر نكسة قلبية ليتوفى مبكراً عمّا كان يرغب به بعدما صرّح في 2022 بأنه كان يأمل أن يصل إلى التسعين، تاركاً وراءه إرثاً أدبياً كبيراً نقل معه الأدب الألباني المجهول إلى «العالمية» وسجالاً دائما حول علاقته بالنظام الشمولي في بلاده، وهو السبب الذي يكمن وراء عدم حصوله على جائزة نوبل التي كان «المرشح المزمن» لها عبر ثلاثين سنة.

ومع أنه انقطع عن الكتابة منذ سنوات إلا أن هذه السنة من بدايتها حملت إشارات محبطة للوصول إلى ترشيح جديد لجائزة نوبل للأدب. ففي بداية هذه السنة، وقبل أيام من الاحتفال بعيد ميلاده، قام رئيس أكاديمية العلوم والفنون في ألبانيا في 12 كانون الثاني/ يناير 2024 بترشيح الروائي الألباني فاتوس كونغولي (F.Kongoli) (1944) لجائزة نوبل للأدب، مع أن هذه الأكاديمية كانت ترشّح كاداريه كل سنة للجائزة نفسها حتى 2023. ولكن الإعلان عن دخول كاداريه في القائمة الطويلة لجائزة بوكر العالمية هذه السنة عن روايته المترجمة للإنكليزية «اتصال من دكتاتور» أعطى أملاً في الوصول إلى نوبل 2024 ولكن جاءت القائمة القصيرة دون اسم كاداريه لتحول دون حصوله حتى على جائزة بوكر.

وعلى الرغم من أن كاداريه عُرف في البداية شاعراً حتى 1963 وكانت له مساهماته في المسرح أيضاً، إلا أن شهرته في العالم بدأت في 1970 مع صدور روايته الأولى «جنرال الجيش الميت» في اللغة الفرنسية واستمرت مع ترجمات رواياته اللاحقة إلى 45 لغة في العالم، ومن ذلك في اللغة العربية التي تعدّدت فيها ترجمات رواياته فقط من الألبانية والفرنسية والإنكليزية مع تعدّد أسمائه في البداية (إسماعيل كادارة، إسماعيل قدري وإسماعيل كاداريه) إلى أن استقر على ما هو عليه.

حياة حافلة

ولد إسماعيل كاداريه في 28 كانون الثاني/ يناير 1936 في مدينة جيروكاسترا بجنوب ألبانيا، وهي المدينة التي ولد فيها أنور خوجا، في عائلة بكتاشية لها مغزاها بالنسبة لألبانيا لكون هذه الطائفة تنتسب إلى الإسلام وتتميّز بتحررها من أركانه، مما انعكس هذا لاحقاً على مواقف كاداريه من الإسلام والشرق. ومع أن والده كان ساعياً في محكمة جيروكاسترا إلا أنه من حيث الأم ينتسب إلى عائلة مثقفة. فقد كان جدّه من أمّه قاضياً في المدينة بعد أن أكمل دراساته في إسطنبول، كما كان والد جدّه من أمّه الشيخ دوبي Hoxhë Dobi شاعرا من شعراء الأدب الألباني الجديد الذي كان يكتب في الألبانية بالحروف العربية.

نشأ كاداريه في هذه البيئة محبّاً للشعر في يفاعته التي توافقت مع وصول الحزب الشيوعي للسلطة في ألبانيا في نهاية 1944 بعد حرب أهلية دموية، ونشر أول ديوان كتبه في المدرسة الثانوية بعنوان «استلهامات أولاد» في 1954 الذي تضمن قصيدة عن ستالين. وفي تلك السنة التحق بقسم اللغة والأدب الألباني في جامعة تيرانا وبعدها أُرسل في بعثة دراسية إلى معهد غوركي للأدب في موسكو، حيث كانت ألبانيا في شهر عسل مع الاتحاد السوفييتي. ولا شك أن إقامة كاداريه القصيرة في موسكو - لأنه اضطر للعودة في 1960 مع توتر العلاقات مع الاتحاد السوفييتي وانحياز ألبانية لاختراق كاداريه لألبانيا المعزولة، وهو الذي كان يموّل نشر ترجماته بشكل مباشر وغير مباشر، باعتباره كان حينئذ من نجوم النظام حيث انتخب لثلاث دورات في «مجلس الشعب» (1970-1982)، كما أصبح نائب رئيس «الجبهة الديمقراطية» (الواجهة الشكلية للنظام الحاكم) التي كانت ترأسها نجمية خوجا زوجة الدكتاتور أنور خوجا. كانت 1980 سنة فارقة أخرى لكاداريه بعدما نشر روايته «قصر الأحلام» التي تُرجمت إلى العربية ولغات كثيرة في العالم. مع هذه الرواية وغيرها سيبدع كاداريه في هذا المجال الذي يستلهم فيه تاريخ ألبانيا خلال الحكم العثماني، الممقوت في التاريخ الرسمي، ويسقطه بطريقة ذكية على الواقع، وهو بذلك جعل أعماله تحتمل القبول خلال الحكم الشمولي وإعادة التفسير بعد سقوط الحكم الشمولي في 1990.

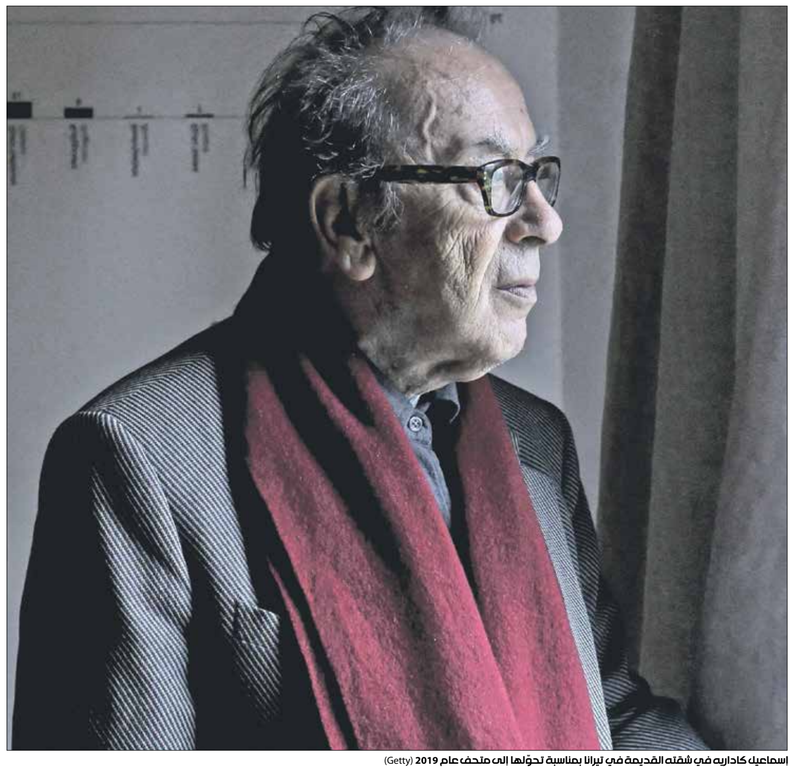

إسماعيل كاداريه في شقته القديمة في تيرانا بمناسبة تحوّلها إلى متحف عام 2019 (Getty)

روايته الجديدة «القلعة» التي أعتبرت في حينها إنجازاً لصالح النظام الذي يمثّل «القلعة» الصامدة للماركسية اللينينية في أوروبا ضد «التحريفية السوفييتية». ومن الطريف هنا أن هذه الرواية ترجمت للعربية من ثلاث لغات (الألبانية والفرنسية والإنكليزية) وبثلاثة عناوين («الحصن» و«طبول المطر» و«الحصار»).

كان النظام الشمولي مرتاحاً في البداية لاختراق كاداريه لألبانيا المعزولة، وهو الذي كان يموّل نشر ترجماته بشكل مباشر وغير مباشر، باعتباره كان حينئذ من نجوم النظام حيث انتخب لثلاث دورات في «مجلس الشعب» (1970-1982)، كما أصبح نائب رئيس «الجبهة الديمقراطية» (الواجهة الشكلية للنظام الحاكم) التي كانت ترأسها نجمية خوجا زوجة الدكتاتور أنور خوجا. كانت 1980 سنة فارقة أخرى لكاداريه بعدما نشر روايته «قصر الأحلام» التي تُرجمت إلى العربية ولغات كثيرة في العالم. مع هذه الرواية وغيرها سيبدع كاداريه في هذا المجال الذي يستلهم فيه تاريخ ألبانيا خلال الحكم العثماني، الممقوت في التاريخ الرسمي، ويسقطه بطريقة ذكية على الواقع، وهو بذلك جعل أعماله تحتمل القبول خلال الحكم الشمولي وإعادة التفسير بعد سقوط الحكم الشمولي في 1990.

> موّل النظام الشمولي نشر ترجماته بشكل مباشر وغير مباشر

> كاتب امتلك موهبة الوصف الجميل للأمور القبيحة

مع ذلك كانت فترة الثمانينيات فترة عصيبة مع بروز مرض الدكتاتور أنور خوجا ووفاته في 1985، الذي كان حامياً لكاداريه من أي تصفية له كما حدث مع الكثيرين قبله، وخاصة مع بروز أخته المثقفة قدرية كاداريه (1935-2022) التي أخذت تنتقد النظام الشمولي بقوّة مما أحرج إسماعيل كاداريه واضطر إلى أن يكتب في نيسان/ إبريل 1980 رسالة خاصة إلى أنور خوجا يتهم فيها أخته بالجنون تمّ الكشف عنها مؤخراً، وبرّرها عند النشر بالقول أنه كان يريد أن يحمي أخته من السجن.

إسماعيل كاداريه ومن بلوشي

يمثل بن بلوشي الجيل التالي لكاداريه الذي أثبت نفسه بقوة (ستصدر له قريباً في العربية روايته «رئيس الوزراء»)، ولذلك لم ير ما يشذه إلى لقاء مع إسماعيل كاداريه بعد أن قرأ كل رواياته. ولكن صديقة مشتركة جمعت بينهما في جلسة على فنجان قهوة في 2022 حيث لاحظ الكثير على تصرفات كاداريه ودوّن ذلك في كتابه «41 سراً» الذي صدر في نهاية 2022، مما أثار حفيظة بسيانا ابنة إسماعيل كاداريه. ومع ذلك فقد كتب بن بلوشي الجمل التالية على موقعه يوم وفاة كاداريه تعبّر عن رأي جيله مع صورة لكاداريه من ذلك اللقاء تنشر لأول مرة: «كان إسماعيل كاداريه يمتلك موهبة الوصف الجميل للأمور القبيحة، وهو ما جعله لا غنى عنه بالنسبة لنا، نحن الذين عشنا زمنا قبيحاً جداً. وحين أحاول أن أقارنه بأحد أرى أن إسماعيل كاداريه يعيش من نشر الأحلام. تخيّلوا في بلد مغلق ومتعب ومعزول ومدمر دونما أمل أن يكون هناك إنسان يكتب طيلة النهار والليل إلى أن يحل الصباح ليدخل بيوت الناس ويترك في ذهن كل واحد حلما مكتوبا. وهكذا بُعث كتبه. إن هذا يكفي لكاتب أن يرحل بهدوء بعد أن أنجز عمله تجاه شعبه بشكل ممتاز».

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

في ظل أنور خوجا

كانت فترة الثمانينات عصيبة على كاداريه مع بروز مرض الدكتاتور أنور خوجا ووفاته في 1985، وهو الذي كان حامياً للكاتب من أي تصفية له كما حدث مع كثيرين قبله، وخاصة مع بروز أخته المثقفة قدرية كاداريه (1935-2022) التي أخذت تنتقد النظام الشمولي بقوّة مما أحرج إسماعيل كاداريه واضطر إلى أن يكتب في نيسان/ إبريل 1980 رسالة خاصة إلى أنور خوجا يتهم فيها أخته بالجنون تمّ الكشف عنها مؤخراً.

قصّة

عدتُ إلى حياة مفتوحة على كلّ الاحتمالات

اليوم التالي

حسن أكرم

في البدء كانت أشبه بلُعبة الهُو بها مع نفسي، أمرّن نفسي وخيالي على التنبُّؤ بما سيحدُث داخل الفيلم الذي أشاهده، أقول سيحدث كذا وكذا، ويحدُث ذلك فعلاً. لأكُون صادقاً أحياناً كثيرة كانت خيالاتي تحيدُ عن السيناريو الأصلي، لكن لمرّات أكثر كانت تصيب، وتتطابق مع النصّ والحركة، وبيني وبين نفسي كنتُ أعزو ذلك إلى مشاهداتي الواسعة لـ«سينما»، وقراءاتي الكثيرة للروايات، أقول: إنّني ربّما أشترك مع الكاتب مثلاً في القراءات التي دعمت موهبته. لذا اعتقدتُ أول الأمر أنّها ربّما تكون خبرة مُتراكمة في حساب الاحتمالات الفنّية، لكن بعد مدّة تيقّنتُ أنّها موهبة خاصة بي، لكنّها ليست موهبة فحسب؛ أعتقد أنّها التقاطٌ لإشارات إلهية، وصرتُ لا أبخل على أحد بتلك الموهبة!

بدأتُ بتوسيع لُعبتي، وصرتُ أتنبّأ بأحداث حقيقية، صحيح أنني بدأت صغيراً في ذلك، شيءٌ من قبيل مَن سيفوز بمباراة السبت القادم؟ أو أيّ فيلم سيتصدّر الإيرادات؟ من سيأخذ الأوسكار؟ لكنّي بعدها ذهبتُ إلى أبعد من ذلك، صرتُ أجرّب تنبُّؤاتي مع الأسهُم، قلتُ سيرتفع سهمُ الذهب، وسيتضاعف الفضّة مرّتين، وصارت الناس تتنبّه لتقديراتي على أنّها تقديرات غيبية ليست لشخص يهذي بل لشخص يعرف. ومع الوقت صارت تنبُّؤاتي لا تُخطئ الهدف أبداً، تأتي مُتطابقة تماماً كأنّها الواقع نفسه، وحتى أدنى التفاصيل الصغيرة؛ ماذا سيدور من حديث مع رجل المرور الذي سيُوشك أن يُحرّر لي مخالفة ولا يفعل؟

هكذا تسير الأمور أعيش الحياة على أنّها حياة مُعادة وقديمة، لا يُمكنني أن أحفل بها، وحتى إنّني لا أنزعج من طلبات الناس المتكرّرة في استشراف المستقبل، المستقبل الذي هو عندي ليس أكثر من حاضر.

وأحياناً أشعُر بالخجل لأنّي أستخدم هذه المهارة بطريقة مُحتالة، مثلاً خزّنتُ الطحين في البيت يوم علمتُ أنّ حرب أوكرانيا ستقع، واشتريتُ أثاثاً جديداً لمنزلي يوم عرفتُ أنّ التضخُّم العالمي سيحدُث، وتخلّصتُ من كلّ العُملة العراقية التي أملكُها قبل أن يسقُط الدينار قتيلاً أمام الدولار، هكذا كنتُ قد سبقتُ العراقيّين بخُطوطي، وحشدتُ أعين الناس حولي حاسدين وطامعين بما أملك من معرفة.

لكنّني فقدتُ كلّ ذلك مؤخّراً، سلبَت الله منّي هذه المِنّة، وتركني أمام المستقبل الذي لا أعرف عنه شيئاً، صرتُ أعيش في محنة وندم كبيرين، لقد عاقبَني الله على إساءتي وغروري واستسلامي لغرائزي، لقد استخدمتُ تنبُّؤاتي في دَعْم الخارجين عن القانون والمارقين واللصوص، وانتهى بي الأمر إلى العمى، لا يُمكنني أن أحرز المستقبل القريب حتى المستقبل الذي سيأتي بعد دقيقة من الآن.

وبعد كلّ ذلك، لم أعتد على حياتي الجديدة، حياتي التي تخلو من التنبُّؤات حياة بطيئة ومجهدة، لا يُمكنني فيها أن أساعد أحداً بالمُراهنات، ولا الأسهُم التي ستربح، ولا الصاحب الذي سيكون وفيّاً معي. لقد عدتُ إلى حياة عادية مفتوحة على كلّ الاحتمالات، ولا يُمكنني أن أحرز احتمالاً واحداً منها، ثم ماذا؟ وجدتُ نفسي أفقد الثقة بقراراتي ومن ثم فقد الناس ثقتهم بي وهجرني المحبّون والطامعون والمطبّلون. لم أجد أحداً حولي، وكنتُ شديد الحَزن واليأس على ما أضعته، حتى شعرت أنني ساموت من شدّة حُزني وندمي. لكني في الأونة الأخيرة اكتشفتُ أن لا قيمة لحُزني وندمي على الحَزن الذي تعزّقت إليه مُؤخّراً، الإحساس بالعجز الذي أصابني، لقد نبَتَ نِدَمٌ آخر في صدري، أكبر مِن كلّ ما عزفه الناس من أنواع الندم، حين كنتُ جالساً أطالع الأخبار، رأيتُ الطفل الذي فقد رأسه يُرفع إلى السماء بيدَين مُرتجفتين، كانتا تسألان الله بماذا أخطأنا ليحدُث ذلك كلّه!

كنتُ قد شاهدت ذلك بكُلّ تفاصيله، مكان الراس المقطوع، وبقايا الرقبة المهشّمة، وخلف الراس حريقٌ يلتهم الخيام، وصياح النسوة، قلتُ لنفسي لو أنّني أرى المستقبل لأخبرتُ الولد الصريع أن يبتعد عن تلك الخيام، لقلتُ للنسوة العزيزات أن يذهبنَ بأنفسهنّ وأطفالهنّ إلى مسافة أبعد، لكنّ الله سلَب منّي بصيرتي، وتركني أتطلّع إلى تلك الرقبة المهشّمة من دون معرفة شيء عن اليوم التالي.

(كاتب من العراق)

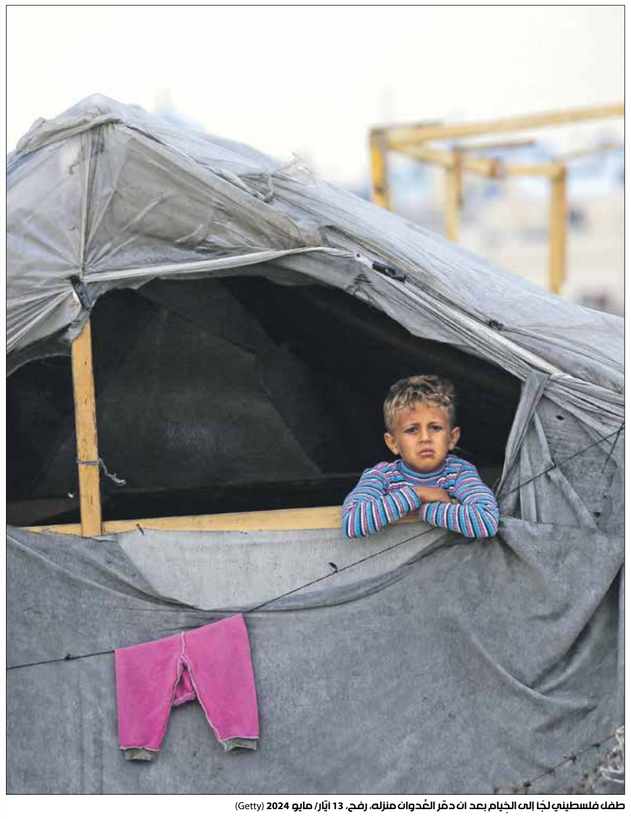

طفل فلسطيني لجأ إلى الخيام بعد أن دمّر الغدوان منزله، رفح، 13 أيّار/ مايو 2024 (Getty)

معرض

نُزهات رياضية نظرة عِلمية ومُحدّثة للتراث

العمارة الأندلسية خارج المفاهيم المُبسَّطة

يُضيء المعرض المُقام في «البيت العربي» بقرطبة الخلفية الهندسية والرياضية لمعالم الأندلس الأثرية، في ثلاث مدن: قرطبة وإشبيلية وغرناطة

قرطبة ـ **العربي الجديد**

عندما وصل القائد المُسلم طارق بن زياد إلى مضيق جبل طارق، وأعلن الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية بدءاً من عام 711 للميلاد، لم يكن يعرف، آنذاك، التداعيات التي سيتركها هذا الحدث في الغرب لاحقاً. وفعلاً، كانت القرون الثمانية من الحُكم الإسلامي التي تلت دخول العرب لشبه الجزيرة الإيبيريّة، وتأسيس ما عُرف لاحقاً باسم حضارة الأندلس، حالة استثنائية في السياق الأوروبي، حيث امتزجت فيها التأثيرات الحضارية للرومان والبيزنطيين والفرس، التي كانت موجودة قبل الفتح، بقيادة روح عظيمة، مع التقاليد والحضارة المحلّية الغنية.

وقد أدّى هذا الامتزاج الحضاري إلى تشييد أبرز الأعمال في تاريخ الفنّ العالمي، مثل «مسجد قرطبة» في مدينة قرطبة، و«قصر الحمراء» في غرناطة، و«مئذنة المُوحّدين» في إشبيلية، إضافة إلى العديد من الصروح التي كانت ولا تزال رمزاً خاصاً للهوية الأندلسية.

«نُزهات رياضية في الأندلس» عنوان معرض يستضيفه «البيت العربي» في مقرّه بقرطبة، حتى التاسع عشر من تمّوز/ يوليو الجاري، ويهدف إلى تسليط الضوء على الجانب الهندسي - الرياضي للصُروح الأثرية والمعالم الحضارية الأندلسية، خصوصاً في ثلاث مدن: قرطبة وإشبيلية وغرناطة، وذلك عبر مزج الفنّ والعِلم في لوحات تعكس التراث الأندلسي في فترات الخلافة الأموية وفترة الموحّدين والنصريّين. يستند المعرض إلى دراسة أعدّتها «مؤسسة اكتشف»، تناولت مسجد قرطبة، والقصر الملكي في إشبيلية، و«الخيرالدا» (المئذنة القديمة)، وبرج الذهب، إضافة إلى قصر الحمراء، في محاولة لربط هذا الإرث الحضاري الضخم بمفاهيم الرياضيات، مثل: التناظر والتماثل، والنظام، وبناء الأقواس، و«الجيوديسيا» (المساحة)، والتعديل، والقياسات البشرية، والمضلّعات ومتعدّدات الوجوه، والفسيفساء والمُضلّعات، والتقسيمات الرياضية، وغيرها، إضافة إلى إبراز أوجه التشابه في التصميم والأقواس والأحجام والأنماط المعمارية.

> يشمل معالم مثل مسجد قرطبة والمئذنة القديمة وقصر الحمراء

ويسعى المعرض عبر اللوحات والتصميمات المشاركة، والتي شملت نتائج الدراسة، إلى تقديم مجموعة متنوّعة من المفاهيم الاجتماعية والثقافية التي يمكن التعبير عنها وتوليفها في وظائف رياضية متنوّعة، مما يُساعد على فهمها والاعتراف بها وتقييمها خارج التحديدات التبسيطية للتصميمات المعمارية والهندسية البحتة التي غالباً ما تصف العمارة الأندلسية من المنظور العسكري، لا سيما الدفاعي أو الهجومي، أو الجانب الديني أو الزخرفي.

إلى جانب ذلك، يسعى المعرض أيضاً إلى تقديم نظرة جديدة عن التأثيرات المتقاطعة، أي تلك الاستخدامات الرياضية التي يتم تكرارها ومحاكاتها عبر الزمن في التصميمات المعمارية، مثل العلاقات بين أبنية النصريّين في غرناطة، أو بني عباد في إشبيلية، أو مسجد قرطبة، كل هذا من أجل تقديم نظرة علمية جديدة ومُحدّثة للتراث الأندلسي. وبالتوازي مع المعرض، تُنظّم «مؤسسة اكتشف» بالتنسيق مع «البيت العربي» جولات ميدانية على أهمّ المعالم الأثرية في الأندلس، حيث يشرح متخصّصون في الأبنية الأندلسية هذه المعالم الرياضية على أرض الواقع.

من المعرض

فعاليات

يُفتتح عند الخامسة من مساء اليوم الأربعاء في فضاء «The Gallerist» ببيروت معرض **اتقان الاندماج البصري** للمعماري اللبناني **طوني ناصيف**، والذي يتواصل حتى الحادي عشر من الشهر الجاري. باستخدام أجزاء من الأسطوانات والشرائح الحديديّة، والمواد الورقيّة، يستعيد ناصيف أحداثاً من الذاكرة اللبنانية.

ما وراء الإطار: ورشة عمل الرسوم المتحرّكة عنوان المخيّم الصيفي الذي انطلق الأحد الماضي في «متحف: المتحف العربي للفنّ الحديث» بالدوحة، ويتواصل حتى الثالث عشر من الشهر الجاري. المشاركون في المخيّم الذي يقام بالتعاون مع «مؤسسة الدوحة للأفلام»، سيتمكّنون من **صناعة مجموعة من الأفلام المتحرّكة** التي يستند مضمونها إلى مقتنيات المتحف.

حول رمزيّة الذهب في الميثولوجيا القديمة ودلالاته الفلسفية، يتواصل حتى الرابع والعشرين من آب/ أغسطس المقبل، في «غاليري غاغوسيان» بأثينا معرض الفنّان الألماني **انسليم كيفر** (1945). يضمّ المعرض، الذي افتتح في الحادي والعشرين من الشهر الماضي، أعمالاً تستحضر أحداثاً تاريخية أو شخصيات أسطورية.

ضمن فعاليات معرض الصور الفوتوغرافية **حوارات حول الإنسانية**، يعقد «المتحف الوطني الأردني للفنون الجميلة» في عمّان، عند السادسة من مساء اليوم الأربعاء، حلقة حوارية بعنوان «75 عاماً من حماية الإنسانية: أهمية التمسّك بالقانون الدولي الإنساني». يشارك في الحلقة السياسيّ الأردني **ناصر جودة** متحدّثاً رئيسياً.